

الحلقة السابعة والأربعون

سفر الجامعة

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. مازلنا ندرس سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

قدم سليمان الحكيم في اللقاء الماضي المزيد من البراهين، عن أسباب نصيحته للشباب أن يذكر خالقه في أيام شبابه. فتحدث عن أهمية ذكر الخالق قبل أن تتحل الحياة في الإنسان، وقبل أن يعود الجسد الترابي إلى التراب، وترجع الروح إلى الله خالقها.

أمام هذه الوقائع المؤلمة، ونهاية الإنسان المفجعة على الأرض، لم يجد سليمان الحكيم إلا أن يستنتج قائلاً: « **باطل الأباطيل** قال الجامعة الكل باطل» (الجامعة ١٢:٨). لقد أكد الحكيم هنا على تفاهة الحياة، إذا كانت نهايتها الموت، وأن لا معنى لها إذا كان هدف الإنسان هو أن يعيش على الأرض فقط. حقاً، تصبح الحياة تفاهة ولا معنى لها، إذا كانت فقط لسنوات قليلة، تنتهي بالموت، وينحل الجسد إلى التراب. ولهذا صرخ الحكيم في النهاية قائلاً: « **باطل الأباطيل الكل باطل**». أي باطلة هي الحياة وكل ما فيها، إذ لا معنى ولا جدوى منها.

وكان الحكيم يتساءل هنا: ما جدوى أعمالنا وتعبنا وجهدنا، وحتى انجازاتنا العظيمة، إذا كنا يوماً ما سننتهي إلى القبر وسنعود تراباً؟ وكان النبي موسى كليم الله سبق له أن قال: « **أيام سنينا هي سبعون سنة**. وإن كانت مع القوة فثمانون سنة وأفخرها تعب وبلية. لأنها تقرض سريعاً فنطير» (مزمور ٩٠:١٠). لكن، هل الحياة هي حقاً هكذا؟ أي مجرد سنين قصيرة نعيشها هنا على الأرض؟ وسنوات نقضي معظمها بالتعب والمصائب والأحزان؟ أم أن هناك معنى لحياتنا؟ وهل هناك أمل حقيقي ورجاء أكيد لنا نحن البشر؟ إنها بالحق تساؤلات هامة، سنحاول الإجابة عنها.

أجل مستمعي، هل هناك معنى لحياتنا؟ وهل هناك أمل ورجاء لنا نحن البشر؟ للإجابة نقول: أن لا معنى لحياة الإنسان ولا جدوى منها، من دون الله خالقه. وأن لا أمل حقيقي ولا رجاء أكيد أيضاً من دون الله جابلنا وصانعنا. وهو ما أراد الحكيم الإشارة إليه بقوله: **باطل الأباطيل الكل باطل**. لقد خلقنا الله على صورته ومثاله، ولن تصبح لحياتنا معنى إذا لم يكن الله هو الأول في

حياتنا، وهو الأساس في تفكيرنا وهدفنا. وعندما يغدو الله هو المركز أو الدائرة التي نستمد منها العصارة والقوة، يصبح لدينا أمل حقيقي ورجاء أكيد للمستقبل أيضاً.

ولقد قال المخلص يسوع المسيح: « لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه» (بشارة متى ١٦: ٢٦). نعم، ماذا ينفع الإنسان لو ربح كل العالم المادي، بثرواته وممتلكاته، وحقق المنجزات العظيمة، لكنه في النهاية خسر نفسه؟ إن كل ما في هذا العالم المادي لن يروي عطش قلب الإنسان، ولن يشبع ظمأه، ولن يعطيه الراحة التي يصبو إليها، وبالتالي لن يجعل لحياته أي معنى أو جدوى. وعلاوة على ذلك ستنتهي حياته عاجلاً أم آجلاً بالموت، وينحل جسده ويعود إلى التراب. فماذا ينتفع الإنسان من كل ما يربحه من العالم يا ترى؟

ولهذا صرّح المخلص المسيح قائلاً: « كل من يشرب من هذا الماء - أي ماء هذا العالم المادي - يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا - أي ماء الخلاص - فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية» (بشارة يوحنا ٤: ١٢-١٤). لقد أرسل الله المخلص المسيح ليجعل لحياتنا معنى وجدوى، وليصبح لدينا أمل حقيقي ورجاء أكيد بالمستقبل. لهذا مات المسيح على الصليب ليكفر عن خطايانا، وقام من بين الأموات لكي يجعلنا خليفة جديدة، وعندما نتوب ونؤمن بالمخلص المسيح ترتوي قلوبنا حقاً، ونحصل على الراحة التي نتوق إليها.

هل تعلم مستمعي أنك عندما تؤمن بالمخلص المسيح لا ترتوي نفسك فقط، بل يصبح عندك أمل ورجاء بالمستقبل؟ أي كما قال المخلص المسيح: لن تعطش إلى الأبد. بل الماء الذي يعطيك إياه المسيح، أي ماء الخلاص، يصير فيك ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية. وبتعبير آخر، تضمن حياتك بعد الموت. وهكذا لا يعود الموت يخيفك، إذ تعلم أن الموت ليس هو النهاية بالنسبة لك، وتتأكد أن الله سيقوم يوماً ما مرة أخرى، جسداً الترابي الذي انحل، وذلك في جسد مجد، كما ذكرنا في اللقاء السابق. وبالتالي تعيش إلى الأبد.

فهل هناك أجمل وأعظم من أن يكون عندك هذا الأمل الحقيقي والرجاء الأكيد؟ ولا بدّ عندها أن يصبح لحياتك معنى وجدوى، ويكون لك هدف صحيح في هذه الحياة. فحياتك لم تعد مجرد أكل وشرب ومسرات، وجمع أموال، ومرض وتعب وشقاء، وفي النهاية الموت والقبر.

هل عندك مستمعي رجاء بالقيامة من الموت؟ وهل أنت متأكد أن الله سيقوم جسديك الترابي مرة أخرى، وتحظى بالخلود؟ إذا كنت غير واثق من ذلك أو لا تعلم، فإن هناك وسيلة تجعلك تتأكد من هذا الأمر، وهي الإيمان بالمخلص المسيح الذي أتى من السماء، لكي يغفر خطايانا وليهبنا الحياة الأبدية. لهذا نستطيع القول أن هدف سليمان الحكيم من قوله: **باطل الأباطيل الكل باطل**، هو أن نعرف أن لا جدوى ولا معنى للحياة من دون الله. وأن يدفعنا لكي نبحث عن الله، وعن الارتواء الحقيقي للنفس. وكما علمنا فإن هذا لن يحصل إلا إذا تاب الإنسان عن ذنوبه، وآمن بالمخلص المسيح.

وماذا عنك صديقي المستمع؟ هل لا زلت تنظر إلى الحياة، من وجهة نظر أرضية فقط؟ وهل مازلت تردد مع الحكيم قوله: **باطل الأباطيل الكل باطل**، وتقف هنا؟ أم أن ذلك يدفعك لكي تبحث عن المصدر الصحيح لمعنى الحياة، والراحة الحقة، الذي هو المخلص المسيح؟